ذكرى اليوم الوطني ٨٢

في تاريخ المملكة أروع الأثر وأكبر العبر

بقلم: معالي الأستاذ عبد المحسن بن عبد العزيز التويجري
نائب رئيس الحرس الوطني المساعد

***خادم الحرمين الشريفين تسلم الآية وقاد مسيرة التنمية وفتح مسارات تنموية نحو آفاق المستقبل مراعيا اتسامتها مع الأصول والثوابت التي قامت عليها أركان الوطن.**

يحل اليوم الوطني ضيفاً عزيزاً على قلوبنا نستقبله كل عام بالمحبة والحفاوة والترحاب ونفتح معه حواراً عميقاً حول ما يرمز إليه من معان خالدة، وما يحمل في طياته من دلالات وإفادات وإضاءات ونستثمر مناسبته الغالية لاسترجاع ذكريات التاريخ المجيد، الذي نحدق في صفحاته بعين العقل والتأمل، ونأخذ منه العبرة والحكمة والتجربة، فهو إذن ليس مناسبة للترف والزهو والمباهاة بل يوم تاريخي يفتح ذاكرة الزمن ويحدث الأجيال عن وطنهم الكبير الذي بناه القادة النجباء والرجال الأوفياء بالدم والجهد والعرق، وقدموه لنا صرحاً شامخاً متماسكاً عامراً بالأمن والرخاء والاستقرار وحملونا مسؤولية حفظه وحمايته ومواصلة السير بقافلته إلى الأمام.

وإذا كان التاريخ سجلاً حافلاً بالأثر والعبر فإن في تاريخ المملكة العربية السعودية أروع الأثر وأكبر العبر التي تخلد أمجاد الرجال وتضحياتهم وقدرتهم على صناعة التاريخ، فقد كانت البلاد تعيش حالة من التمزق والفرقة والضياع، وتئن تحت وطأة البؤس والجوع والفقر، لا تجمعها راية، ولا تلتقي على غاية، حتى قيض الله لها ذلك القائد الفذ الملهم الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه - الذي اشتعلت في نفسه نزعة القيادة المقترنة مع عنفوان الشباب لتحمله

اعتزاز بالماضي.. واستشراف للمستقبل

إلى ركوب المخاطر واقتحام المجهول سعياً إلى تحقيق هدف كبير وكبير جداً، هدف التقت فيه الرغبات مع رغبة عبدالعزيز، وتوحدت العزائم مع عزيمته، واجتمعت الرايات تحت رايته، هدف يعيد دولة الأسلاف التي تذوق الناس تحت ظلالها نعمة الأمن والأمان وطعم الوحدة والاستقرار إبان مرحلتيها السابقتين: الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية.

وهكذا فتح التاريخ صفحاته الذهبية للبطل المؤسس ليشرع في كتابة فصول ملحمة التوحيد الفريدة بدءاً باستعادة الرياض ثم التوسع والانتشار بخطى ثابتة ورؤى حكيمة وشجاعة نادرة حتى عمت ببركتها جميع مناطق الوطن مؤذنةً بقيام دولة الوحدة وتأسيس الكيان وإعلان اسم المملكة العربية السعودية دولة شامخة في عنان السماء بعد أن سجل عبدالعزيز ورجاله أروع الملاحم البطولية وأنبل المواقف التي خلدها التاريخ.

ثم إن فصول الملحمة لم تقف عند حد اكتمال البطولة وانتصار البطل وتحقيق الحلم بوحدة الوطن بل واصل القائد المظفر جهاده في مسار آخر نحو التنمية والبناء وتكوين المؤسسات ورسم سياسة الدولة متخذاً من الشريعة الإسلامية السمحة المصدر والأساس لمنهجية الحكم وإدارة شؤون البلاد..

ويستلم الراية من بعده أبناؤه البررة ملوك البلاد الذين ساروا على منهجه القويم، وقادوا مسيرة التنمية إلى مراتب الرقي والتقدم في كل مجالات الحياة وصولاً إلى هذا العهد الزاهر عهد سيدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود - أيده الله - هذا الرجل العملاق، الذي فتح مسارات التنمية وعجل حركتها نحو آفاق المستقبل مراعياً اتساقها مع الأصول والثوابت التي قامت عليها أركان الوطن.

وإنني حين أتحدث عن هذا الرمز الكبير فإنني أتحدث من قرب عن قائد كبير من الطراز النادر قائد يعيش مع الناس ولأجلهم فاتحاً قلبه للجميع لا يهنأ بالنوم إلا ساعات قليلة يحب العمل ويعشق الانجاز ويسعى في نشر الخير ومساعدة المحتاجين ويحرص على تفقد أحوال الناس بنفسه ويغدق عطفه وحنانه على الجميع.

وإذا كانت الصفحات مهما كثرت لا تكفي لتدوين سيرته الفذة وانجازاته العملاقة فإننا نكتفي بومضات سريعة عن بعض ما حققه - يحفظه الله - من انجازات رائدة في زمن وجيز.

وفي مقدمة ذلك توسعة الحرمين الشريفين التي تعد الأكبر في التاريخ وتطوير المشاعر، وفتح الجامعات وبرنامج الابتعاث لتوسيع دائرة العلم والمعرفة، وتطوير النقل والمواصلات، وإقامة مشاريع الإسكان، وزيادة الوظائف والرواتب والبدلات، وتطوير القضاء ونشر ثقافة الحوار، وبناء المرافق الحكومية والمدارس والمستشفيات، وغير ذلك من مشاريع البناء والنماء في شتى مناطق الوطن.

هذا فضلا عن الأعمال الخيرية التي يتبناها وينفق عليها من ماله الخاص مثل الإسكان التنموي الخيري ومؤسسة الملك عبدالله الخيرية لوالديه، والمسابقة السنوية للطلاب والطالبات لحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وغير ذلك من أعمال البر والخير.

أما على الصعيد الإسلامي والعربي والدولي فإن المملكة في عهده - يحفظه الله - سجلت ريادةً مشرفة في دعم السلام وتبني مواقف الاعتدال ومحاربة الإرهاب والتطرف وقيادة الحوار العالمي بين أتباع الأديان والثقافات والإسهام في تحقيق التوازن الاقتصادي وتكافؤ الفرص وتوفير فرص العيش الكريم للشعوب.

وهي أعمال ومبادرات أسهمت إلى جانب ما يحظى به - رعاه الله - من سمات قيادية متميزة وصفات نبيلة في إبراز مكانته كقائد عالمي، كما أسهمت في حفظ مكانة المملكة كدولة رائدة وسوغت دخولها إلى نادي قمة العشرين لتكون من صناع القرار الاقتصادي العالمي.

ختاماً فإنه يشرفني وأنا أسجل هذه الكلمة بمناسبة اليوم الوطني الثاني والثمانين للمملكة أن أعبر عن أسمى آيات الولاء والانتماء والوفاء لسيدي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ولولي عهد الأمين صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز سائلاً الله تعالى أن يديمهما ذخراً للمواطن وعزاً للوطن وسنداً للأمة.

كما لا يفوتني أن أحيي في هذه المناسبة الطيبة إخواني مواطني هذا البلد الأوفياء الذين أثبتوا في المواقف الحاسمة أصالة المواطنة وصدق الانتماء في صورة تلاحمية فريدة مع قيادتهم الرشيدة مفوتين على المتربصين فرصة النيل من وحدة الوطن وأمنه واستقراره ومكاسبه.

وأشد على أيدي الجميع خاصة أبناء الجيل الصاعد داعياً إياهم إلى مواصلة السير على خطى الآباء والأجداد في حب الوطن والعمل من أجل بنائه ونمائه واستمرار عطائة وتفوقه وعدم الالتفات للأبواق المغرضة التي تحاول طمس أمجاد الوطن وقطع صلة الأجيال بماضيهم الأصيل، مذكراً بأن الوطن هو الحضن الدافيء والملاذ الآمن الذي يجدون فيه الأمن والأمان والاطمئنان، ومنوهاً في ذات الوقت بمكانة وطننا الغالي وحجم رسالته ومسؤولياته وعلاقاته الواسعة وما يتمتع به قادته الكرام من قدرات سياسية فائقة وحسن تصريف للأمور وقدرة على أتخاذ المواقف السليمة والقرارات المناسبة، وفق ما تقتضيه مصلحة بلادهم أولاً ثم ما تتطلبه الظروف والأحداث من إجراءات ومواقف وقرارات والسير بسفينة الوطن إلى شواطئ الأمان وسط أمواج الأحداث العاتية والتقلبات السياسية والاقتصادية والطبيعية التي تعصف بالعديد من مناطق العالم.

هذا والله أسأل أن يديم عز القيادة ومجد الوطن ورخاء المواطن وإن يعيننا جميعاً على القيام بواجب المواطنة على الوجه الأكمل ليظل الوطن شامخاً فوق قمم المجد بإذن الله.

وكل عام الوطن بخير.